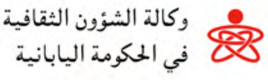
أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم

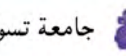
سورية في عصور ما قبل التاريخ

إعداد : اكيرا تسونيكي

تعريب: ساري جمو



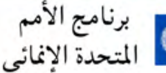












أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم

سورية في عصور ما قبل التاريخ

أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم
سورية في عصور ما قبل التاريخ

إعداد: اكيرا تسونيكي

تعريب: ساري جمو

تم طباعة هذا الكُتيِّب بتمويل من قبل


وكالة الشؤون الثقافية في الحكومة اليابانية
٢٠١٨

صورة الغلاف: التنقيبات في موقع تل الكرخ

الطباعة: شركة مايدا للطباعة المحدودة، اليابان

مركز حضارة غرب آسيا
جامعة تسوكوبا
١-١-١ تينّوداي، تسوكوبا، إيباراكي
اليابان

أهمية الآثار السورية في تاريخ العالم
سورية في عصور ما قبل التاريخ

١. ضرورة طرح وجهات نظر جديدة من سورية ومن حضارة غرب آسيا القديمة

يُستخدم مصطلح "غرب آسيا" في المنطقة المدروسة في هذا الكُتيّب ويشير إلى الجزء الغربي من قارّة آسيا، والذي يُشار إليه عموماً باسم الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط. ولأن هذه الكلمة محملة بالقيم وتمثل وجهة نظر جوهرية أوربية المنحى، لذلك، نحن في شرق آسيا نستخدم مصطلح غرب آسيا بدلاً من الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط.

حدثت سلسلة من التحولات الكُبرى في تاريخ البشرية في غرب آسيا، ولكن تلك الحقائق باتت أقرب إلى النسيان من قِبل الناس الذين يعيشون في عالمنا الحديث. وأصبح يُنظر إلى الأديان، والسياسات، والاقتصاديات، والثقافات الموجودة في غرب آسيا على انها في حالة صراع تُنتج مناخاً اجتماعياً غير مستقر، ويتم التعامل مع المنطقة من منظور السياسة العالمية الحديثة على انها منطقة مثيرة للاضطرابات. وبالتالي، تحولّت المجتمعات الإسلامية في غرب آسيا إلى كبش فداء لتلك السياسات. أصبحت المجتمعات الإسلامية أيضاً مواجهة للمجتمعات الغربية ورمزاً مناهضاً لوجهات النظر الغربية. وقد أثّر مُؤلَّف "*صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي*" لـ صموئيل هنتنغتون عام ١٩٩٦ بعمق على السياسة الحديثة، والذي أشار إلى تغيّر الصراعات الرئيسية بعد انتهاء الحرب الباردة من صراعات بين الدول إلى صراعات بين الحضارات. وتنبأ هنتنغتون إلى ان النظام العالمي سيصل في نهاية المطاف إلى طريق مسدود، وسيبدأ الناس بالتجمّع خلف ثقافتهم، وحضارتهم، وهويتهم بدلاً من التجمّع وراء الحدود الوطنية وتحت الأعلام. وأحد أخطر محاور الصراع هو الصراع بين الحضارات الغربية (المتمثلة بالأوربيين والأمريكيين الشماليين) والحضارة والإسلامية، حيث بدأ الناس بشكل كبير بالتركيز على الاختلافات الثقافية، وتسارع ذلك بعد أحداث ١١ ايلول/سبتمبر ٢٠١١ في الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أنه عند دراسة القضايا الحديثة من وجهة نظر حضارة غرب آسيا القديمة، فمن الضروري تحديد ما إذا كانت حضارة أوربة الغربية بالفعل في مواجهة مع الحضارة الإسلامية، وفيما إذا كانت كل حضارة قد نَمت لتكون غير متوافقة مع الأُخرى. معظم الخصائص الأساسية للمجتمعات الإسلامية الحديثة (على سبيل المثال، العلاقات القائمة على القرابة، الإيمان القوي بالتوحيد) ظهرت وتطورت في غرب آسيا قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة. حيث انه لا يمكن فهم المجتمعات الإسلامية الحديثة سواء العربية أو غير العربية دون فهم عميق لحضارة غرب آسيا القديمة. وبمجرد الإلمام ومعرفة حضارة غرب آسيا القديمة، فمن الممكن فهم بأن العناصر الرئيسية كزراعة القمح، والتحضّر، والمسيحية التي تُعتبر جوهر المجتمعات الغربية (الأوربية والأمريكية الشمالية) تعود أصول نشأتها أساساً إلى حضارة غرب آسيا القديمة. وبالتالي، الحضارات الإسلامية والغربية الحديثة هي حضارات شقيقة جذورها في حضارة غرب



(الشكل ١) أهمية دراسة حضارة غرب آسيا القديمة

آسيا القديمة. ولذلك فإن دراسة حضارة غرب آسيا القديمة لا تسهم في فهم المجتمعات الإسلامية الحديثة وغيرها من مجتمعات غرب آسيا، بل أيضاً تسهم في فهم أساس

المجتمعات الغربية (الشكل ١). يجب ان تسهم دراسة حضارة غرب آسيا القديمة في تعزيز التفاهم المتبادل بين هاتين الحضارتين. وبما أن معظم الحضارات الحديثة تُدين بالعديد من عناصرها الرئيسية للحضارات الغربية، فإننا كدارسين لهذه الحضارة نؤمن بأن دراسة حضارة غرب آسيا القديمة لا غنى عنها لفهم أسس العالم الحديث. ونأمل ان نخلق عالماً مفهوماً بشكل أكبر من خلال دراسة حضارة غرب آسيا القديمة. وبالطبع، فإن هذا المسار جديد ويبدوا بدائي، ولكننا نأمل بأن تُشجّع دراسة حضارة غرب آسيا القديمة هذا النوع من وجهات النظر ويطّوره.

يشير مصطلح "حضارة غرب آسيا القديمة" إلى جسد الثقافات التي ظهرت في غرب آسيا بشكل رئيسي في الفترة الممتدة بين الألف العاشر حتى الأول قبل الميلاد. قدّمت حضارة غرب آسيا القديمة الأسس لجميع الحضارات الحديثة، ابتداء من المواد الغذائية الأساسية، والابتكار التقني إلى الأنظمة الاجتماعية بما في ذلك الحياة الروحية. كما سنناقش بالتفصيل لاحقاً معظم التحولات الاجتماعية الكبرى مثل "الثورة النيوليتية: ثورة العصر الحجري الحديث أو الثورة الزراعية" (الانتقال من المجتمعات التي تعتمد في قوتها على الصيد والالتقاط، إلى المجتمعات الزراعية الرعوية)، والتحضّر (الانتقال من القرى إلى المدن)، والابتكار التكنولوجي مثل اختراع الكتابات، وأعمال التعدين، وصناعة الزجاج وما إلى ذلك، وولادة رؤية التوحيد والتي نشأت خاصة في منطقة سورية الحديثة وماحولها.

وبهذا المعنى، كانت سورية مركز حضارة غرب آسيا القديمة. ويعتمد كثير من الناس بشدة في عالمنا الحالي على الابتكارات التي تطورت في سورية.

٢. البيئة الطبيعية وأهميتها للحضارة

يقع غرب آسيا عند تقاطع القارات الثلاث الأفريقية، والآسيوية، والأوربية، في حين أن سورية الحديثة تقع في وسط غرب آسيا (الشكل ٢). شكّل موقع سورية ممرات للهجرة، والتفاعلات الثقافية، والتجارة الاقتصادية، والتقدم العسكري وغيرها من الأنشطة البشرية. كما أن موقعها الجغرافي ارتقى بغرب آسيا وسورية إلى نقطة محورية للتحولات الديناميكية في تاريخ البشرية. فإذا قارنّا هذه الحالة مع ظروف الطريق المسدود التي واجهتها الجزر البريطانية أو الأرخبيل الياباني، فيظهر الفرق حاسماً. ففي حالة الجزر البريطانية أو الأرخبيل الياباني، هاجرت مجموعات بشرية وثقافات إلى مناطق تفتقر إلى طُرق الخروج، وبالتالي اختلط الناس بشكل متكرر وكثيف في هذه المناطق. وكانت الواردات البشرية والثقافية مُفرطة مقارنة بالصادرات قبل فترة الحداثة، وأدى ذلك إلى فترات مختلفة من العزلة.



(الشكل ٢) يصل غرب آسيا القارات الثلاث، وتقع سورية في وسط غرب آسيا

على نحو معاكس في غرب آسيا، فقد كان الناس منخرطين مع مجموعات بشرية أُخرى، وكانت أرضهم مفتوحة أمام الجميع، ويمكن القول حرفياً بأن غرب آسيا مفترق طرق للبشر والحضارات. وفي ظل هذه الظروف، يجب أن يكون تاريخ شعوب هذه المنطقة ديناميكيا سواء أُعجب به الناس في غرب آسيا أم لا. تحتوي منطقة غرب آسيا أيضاً موارد طبيعية ومعدنية مستفيضة. ويتم التحكم في الاقتصاد العالمي اليوم ولفترة طويلة من الزمن من خلال السياسات النفطية لدول غرب آسيا والعواصم الدولية. ولكن هذه الظاهرة لا تقتصر على العصر

الحديث، بل تعود إلى عصور ما قبل التاريخ والفترات التاريخية المبكرة لغرب آسيا، حيث لعبت الموارد المعدنية مثل حجر السَّبَج الزجاجي البركاني (الأوبسديان)، والنحاس، والقصدير، والرصاص، والذهب، والفضّة، والحديد، والأحجار الكريمة، أدواراً مهمة في تنمية المدن والبلدات والحضارات. وقد حاولت الأنظمة السياسية في المستوطنات الباكرة والدول السيطرة على الموارد الطبيعية، بما في ذلك المعادن واستخدامها للسيطرة والتحكم بالمجموعات البشرية الأُخرى. ومن هنا، فمنطقة غرب آسيا الحديثة غنية بالنفط، وغرب آسيا القديمة غنية بموارد معدنية مفيدة للبشرية.

٣. السوريين الأوائل

عاش الناس في مناطق مختلفة منذ العصر الحجري القديم منذ أكثر من مليون سنة. هاجرت مجموعات بشرية من شمال شرق أفريقيا إلى سورية حيث وجدت أماكن مناسبة للاستيطان والسكن بالقرب من ينابيع المياه والأنهار حيث وفرة النباتات والحيوانات. وقد زوّدتهم هذه المواقع أيضاً بمصدر جيد لصخور السيليكيا لتصنيع الأدوات الحجرية المصقولة. واكتشفت سلسلة من ثقافات العصر الحجري القديم مثل الثقافة الهمّلية، والموستيرية، واليبرودية، وآثار الأنشطة البشرية الباكرة في العديد من المناطق في سورية.



(الشكل ٣) تظهر لنا التنقيبات في موقع الهمّل وحوضة الكوم تسلسل الطويل من العصر الحجري القديم (تصريح من جان ماري لوتونسورير).

تعتبر واحة الكوم في قلب الصحراء السورية إحدى المناطق التي سكنها إنسان العصر الحجري القديم منذ حوالي ١.٨ مليون سنة (الشكل ٣). ومنذ ذلك الحين، عاش الإنسان

في هذه المنطقة بشكل متقطّع وطوّر العديد من التقنيات الجديدة لتصنيع بعض الأدوات. وجاء السكان الأوائل إلى سورية بتقنيات بسيطة لتصنيع الفأس اليدوية ذات الوجهين (الآشولية). وبمرور الوقت، بدأوا بصنع أنواع جديدة من الأدوات مثل المكاشط والشفرات، وانتشرت هذه الأدوات الجديدة من سورية إلى فلسطين، والأردن وربما حتى أوربة. اصطادوا حيوانات مختلفة مثل الأحصنة والماشية، ولكن أهم مصدر غذائي لإنسان الكوم كان الجمل الضخم الذي يبلغ حجمه ثلاثة أضعاف الجمل الحالي. وكانت هذه الجِمال الضخمة السلف المباشر للجمل الحالي. يُشار وبناء على الأدلة المكتشفة من موقع الباز والكوم إلى ان أصل الجِمال يمكن أن يكون الصحراء السورية ذاتها.

بالإضافة إلى حوضة الكوم، أظهرت التنقيبات في كهف الديدرية في منطقة عفرين شمال مدينة حلب تسلسلاً ثقافياً جيداً في العصر الحجري القديم الأوسط، وبناء على المكتشفات في الكهف، أمكننا اقتراح أن الإنسان الحديث قد حلَّ مكان إنسان النياندتال.

٤. التحضّر وظهور القرى


(الشكل ٤) مساكن غائرة في الأرض من تل أبو هريرة
(تصريح من اندرو مور)

أصبحت الظروف البيئية أكثر دفئا ورطوبة عند انتهاء العصر الجليدي "البلستوسيني" (حوالي ١٥ ألف قبل الميلاد). وقد ساعد هذا المناخ المعتدل الجديد في تسريع انتشار الاستيطان البشري في سورية وما حولها. منذ ١٢ ألف قبل الميلاد، بدأ الإنسان ببناء نوع جديد من المنازل وهي عبارة عن مساكن ذات شكل مستدير، أو غائر في الأرض ذو جدران تأسيسية حجرية (الشكل ٤). وتدريجياً، تم تجميع هذه البيوت معاً وظهرت

"القرية" للمرة الأولى في تاريخ البشرية. بدأ سكان القرى بالتركيز على الحبوب البرّية الصّالحة للأكل مثل القمح والشعير والتي كانت مواد مُغذّية ويمكن تخزينها . وتم تطوير عدة أنواع من الأدوات الحجرية الجديدة بما في ذلك رؤوس السهام الكبيرة، والمثاقب، والسكاكين، والكواشط، وأجران الطحن. استخدمت المناجل (والمشكّل من مقبض خشبي أو عظمي) لحصاد الحبوب البرية، وأصبحت من الأدوات الهامة. وأصبح تصنيع الحُلي والجواهر أيضاً في هذه الفترة أكثر وضوحاً في سورية. وقد سُميّت طريقة الحياة الجديدة هذه بالثقافة النطوفية والتي انتشرت من جنوب بلاد الشام واستمرت قرابة ٣ آلاف عام. وقد اكتشفت بقايا وودائع الثقافة النطوفية في كل من شمال وجنوب سورية (على سبيل المثال في تل أبو هريرة، وتل قراصة).

٥. الثورة النيوليتية (ثورة العصر الحجري الحديث) وتطوّر القرى الزراعية

بدأت ثورة العصر الحديث (الثورة الزراعية) أي (الانتقال من المجتمعات التي تعتمد في قوتها على الصيد والالتقاط، إلى المجتمعات الزراعية الرعوية) حوالي الألف العاشرة قبل الميلاد في شمال سورية. كانت تعتمد طريقة الحياة الجديدة هذه على الزراعة التي غيّرت حياة البشرية ومفاهيمها تماماً. وقد بدأ هذا التحول الثقافي والمعرفي بالأساس في الألفية العاشرة قبل الميلاد، واستمر لعدة آلاف من السنين. أهم نتائج ثورة العصر الحجري الحديث (الثورة الزراعية) هي أن الإنسان لم يعد يعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية، ولكنه بدأ في السيطرة على الكائنات الحية الأخرى من حوله. بدأت هذه التحولات في منطقة حوض الفرات الأوسط وما حوله في شمال سورية، وهي منطقة غنية بالمياه والنباتات والحيوانات. أيضاً لدينا أدلّة جيدة على الزراعة المبكرة من مواقع مثل تل المريبط وتل أبو هريرة.

عُثر على أقدم الأدلة على النباتات والحيوانات المدجّنة في هذه القرى السورية. وتم التعرف على أول دليل على الزراعة من خلال الحبوب المزروعة من الشعير والقمح

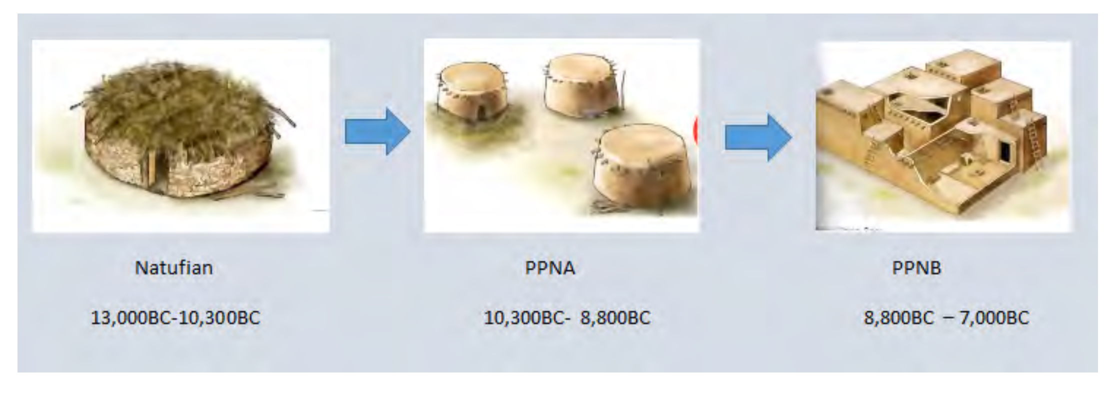
والعدس. كما تم الحصول على أولى الأدلّة التي تشير إلى تدجين الأغنام والماعز والخنازير. وبالتالي، انتشرت المعرفة حول تدجين النباتات والحيوانات من شمال سورية في جميع أنحاء بلاد الشام والأناضول من خلال الروابط الثقافية والطرق التجارية. وانتشرت الزراعة بعد عدة آلاف من السنين، في أوروبا وشمال أفريقيا ومناطق أخرى من العالم.

لقد وفّرت طريقة الحياة الجديدة للسكان المحليين المزيد من الاستقرار وشجعتهم على بناء قرى أكبر وأكثر ديمومة. ففي البداية، بُنيت البيوت الدائرية الشكل المؤلفة من غرفة واحدة من الحجارة وفروع الأشجار والطين.



(الشكل ٥) منظر عام لقرية من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) (PPNA) من موقع تل جرف الأحمر في حوض الفرات الأوسط (تصريح من دانييل ستوردور)

تدريجياً، أصبحت المنازل أكبر وتغيّر التصميم من شكل دائري بسيط إلى شكل مستطيل مؤلَّف مع عدة غرف (الشكل ٥). وبالتالي، أصبح المشهد الاصطناعي للمنازل مثل قرية حديثة. وقد أعطانا موقع تل جرف الأحمر وغيره من مواقع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (PPN) في سورية مثالاً جيدًا لهذا الانتقال (الشكل ٦).



(الشكل ٦) حدث التحول في مخطط المنازل في سورية من ١٣ ألف إلى ٧ آلاف سنة قبل الميلاد

ظهرت مفاهيم العقيدة الدينية في مجتمع العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في سورية أيضاً. أهم المؤشرات على ذلك كانت جماجم الثيران، والتماثيل النسائية، والجماجم البشرية المجصّصة (الشكل ٧). وقد أشارت هذه الدلائل "الدينية" إلى أن الطقوس الجنائزية لعبت دورًا مهمًا في تنظيم مجتمعات العصر الحجري الحديث.



جماجم بشرية مجصّصة من تل أسود
(تصريح من دانييل ستوردور)



تمثال أنثى من سكر الأحيمر
(تصريح من يوشيهيرو نيشياكي)



جماجم الثيران من تل القرامل
(تصريح من يوسف كنجو)

(الشكل ٧) مفاهيم العقيدة الدينية في مجتمع العصر الحجري الحديث

مع بداية الألفية السابعة قبل الميلاد، بدأ إنتاج الفخار على نطاق واسع في سورية. حيث أنتجت سورية أقدم الفخاريات في غرب آسيا. بعد ذلك، أصبح الفخار ضرورياً للاستخدام في الحياة اليومية. في الوقت نفسه، بدأ استخدام الأختام لختم المواد الهامة. وكان هذا أول نظام ختم في العالم. ويشير ظهور نظام الأختام إلى الاعتراف بالسلع ذات القيمة التي يجب حمايتها بواسطة الأختام. وبالتالي، فإن هذه الأختام دليل على الملكية الخاصة، والتجارة، والإدارة داخل مجتمع العصر الحجري الحديث في سورية. وتعتبر الأختام من العناصر

(الشكل ٨) أختام من تل الكرخ

المهمة جداً للإنسان والتي ستكون الخطوة الأولى في أنظمة التسجيل والكتابة (الشكل ٨).

في الألفية السادسة قبل الميلاد، بدأ الإنسان بتصنيع الفخار الملون الجميل جداً والمعروف بآنية تل حلف. استخدمت الأفران لشي الفخار الملون في تل حلف، وتمثل هذه الفترة البداية الحقيقية للتقانة الحرارية (السيطرة على درجات الحرارة) في تاريخ البشرية. ويمكننا تتبّع أصل آنية حلف في موقع تل صبي أبيض الذي يقع في سهل نهر البليخ. ولذلك، فإن ثقافة حلف ذات التقانة الحرارية المتقدمة، نشأت من سورية أيضاً.

في المرحلة التالية في ثقافة العُبيد، اكتشفت ورش لصناعة الفخار في العديد من المواقع العُبيدية السورية (الشكل ٩). وتشير تلك المكتشفات إلى أن التقانة الحرارية المتقدمة في سوريا لها تاريخ طويل أكثر من أي مكان في العالم أيضاً.



(الشكل ٩) ورشة لتصنيع الفخار في موقع تل قوزاق شمالي (تصريح من يوشيهيرو نيشياكي)

٦. المضي قدماً نحو التحضّر

أثّرت النظم الاجتماعية التي تطوّرت في غرب آسيا القديمة أيضاً على الحياة في العالم الحديث. يعيش في الوقت الحالي أكثر من نصف سكان العالم في مجتمعات حضرية (انظر تقرير الأمم المتحدة ٢٠١٥، آفاق التحضر في العالم. (https://esa.un.org/unpd/wup/. ظهرت أول معالم التطوّر الحضري في

غرب آسيا، وكذلك تطورت الأنظمة الاجتماعية (أي الدول) التي حكمت المجتمعات الحضرية. ولفهم أصل وتطور المجتمعات الحضرية ومجتمعات الدولة، لابد من دراسة تاريخ غرب آسيا القديم. تُظهر دراسة حضارة غرب آسيا القديمة ماهيّة المدن والولايات، وتتيح لنا التفكير في سبب تجمّع الناس في المدن، وهذا يتعلق بشكل خاص بالقضايا المرتبطة بالمشاكل الحضرية الحديثة.

أعتَقَد الآثاريين والمؤرخين اللغويين وبشكل تقليدي أن جنوب بلاد الرافدين هي مهد المجتمع الحضري في أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد. ولطالما كانت المدن القديمة في بلاد الرافدين، وخاصة مدينة أوروك، محور نقاش حول أوائل المدن في العالم. ولكن نتائج التنقيبات الجديدة في سورية طرحت تحدياً لهذا الرأي السائد. وهناك من يثير الجدل من الباحثين بأن سورية من الممكن أن تكون نقطة الانطلاق نحو المجتمع الحضري.

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن ملاحظة وجود دليل على أول مجتمع حضري بين المواقع السورية التي تعود إلى العصر النحاسي، كموقع تل براك، وتل حموكر في محافظة الحسكة، وتل حمام التركمان في محافظة الرقة. اكتشف علماء الآثار جدراناً سميكة من الطوب الطيني وبوابات المباني العامة الضخمة، وكذلك الشوارع التي تربط هذه المباني العامة في هذه المواقع. بالإضافة إلى ذلك، اكتشف العديد من ورش العمل المخصّصة للمنسوجات، ودباغة الجلود، وصناعة الفخار (الشكل ١٠، أعلى). حتى أيضاً اكتشف في موقع تل براك جداول عددية بدائية، والتي قد تكون أقدم مادة مطبوعة. هذه المستوطنات الحضرية الباكرة في سورية يمكن أن تؤرّخ إلى نهاية الألفية الخامسة وأوائل الألفية الرابعة قبل الميلاد، وتشير إلى أن المجتمعات الحضرية ظهرت في سورية في وقت مبكر جداً مقارنة مع جنوب بلاد الرافدين.

ويبحث البروفيسور جيسون أور من جامعة هارفارد عن منشأ المدن باستخدام نتائج من مجموعة مفصّلة من الفخار السطحي وعن طريق الاستشعار عن بعد. وجادل بأن نفوذ النخبة الحاكمة لا يبدو أنه المسؤول الوحيد عن التطور الأولي الحضري في تل براك. ولكن يبدوا من المرجح أن التحضّر كان في جزء منه على الأقل نتيجة غير

مقصودة من تصرفات مجموعات مستقلة لا تحتل مرتبة في التسلسل الهرمي.



الخندق TW الطبقة ١٩ مبنى صناعي من تل براك يؤرخ حوالي ٤ آلاف سنة قبل الميلاد (تصريح من جوان أوتس)



تل براك، منظر عام (Google Earth)



جداول عددية من تل براك (تصريح من معهد ماكدونالد للبحث الأثري)

(الشكل ١٠) مكتشفات من تل براك

إحدى أهم التطورات في هذه الفترة هو نظام الكتابة. تشتمل الأدلة في المراحل الأولى من الكتابة على قطع صغيرة من الطين بأشكال مختلفة، تتكون من علامات ورموز (الشكل ١٠، أسفل). ومن المرجّح أن تكون هذه القطع الطينية قد استخدمت لحساب وتسجيل السلع ووسيلة للتواصل بين مختلف الأطراف المعنية. ويُشير هذا النظام تطورات اقتصادية بالتوازي مع زيادة الفوائض الزراعية، وتربية الحيوانات، وتطور التجارة. وتدل أقدم الكتابات الصُوريّة والرُّقم المسمارية بالتأكيد على السجلات

الخاصة بإدارة البضائع. كما ذكر أعلاه، تطوَّر نظام الكتابة منذ فترة طويلة من أنظمة التسجيل والأختام في عصور ما قبل التاريخ. تعود الأدلّة على إدارة البضائع إلى أنظمة الختم في العصر الحجري الحديث وذلك باستخدام الأختام المُميّزة في سورية. لذلك، يمكن تتبع ٤ آلاف سنة من التاريخ الذي أدى إلى تطوّر أنظمة الكتابة في سورية، والذي يُعزى في المقام الأول إلى أنظمة الختم هذه (الشكل ١١). وبسبب هذا التاريخ الطويل في الكتابة التمهيدية والقديمة، يمكننا أن نستنتج أن سورية هي مهد الكتابة.



(الشكل ١١) تسلسل اختراع الكتابة الصُورية في حضارة غرب آسيا القديمة

٧. الخلاصة

قدمت الأدلة والتفسيرات الأثرية في سورية توجيهات جديدة حول تاريخ التطوّر الثقافي البشري على مدى فترة طويلة من الزمن. وبدون علم الآثار السورية، من المستحيل النظر في التحولات الكبرى في تاريخ البشرية، كانتشار الإنسان العاقل بعد خروجه من افريقيا، ظهور القرى، وبداية الزراعة، والتعقيدات الاجتماعية، وتطور التقانة الحرارية، ونشوء المجتمعات الحضرية، وتطور الكتابة، وما إلى ذلك. لعبت سورية والمناطق المحيطة بها الدور الأكثر أهمية في هذه التحولات العظيمة خاصة في فترة عصور ما

قبل التاريخ خلال الفترة الممتدّة من الألفية العاشرة إلى الرابعة قبل الميلاد.

خلال الفترة اللاحقة، من الألفية الثالثة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، حدثت أيضاً تحولات وانجازات كبيرة أخرى في سورية وحولها، مثل تنظيم المدن والولايات الإقليمية، وصناعة الزجاجي، وظهور التوحيد، واختراع الأبجدية الأولى وما إلى ذلك.

في الفترة الممتدة من الألفية العاشرة إلى الأولى قبل الميلاد، كانت سورية مهمة للغاية في تاريخ الابتكار والتحول في العالم. ففي حين لا يمكننا التحدث عن تطور تاريخ البشرية من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين الميلادي بدون التطّرق إلى الإنجازات الأوروبية والأميركية، أيضاً في المقابل، لا يمكننا الحديث عن تطور التاريخ البشري من الألف العاشر إلى الألف الأول قبل الميلاد دون الحديث عن حضارة غرب آسيا القديمة، وخاصة الإنجازات التي قدمتها سورية. كانت سورية متقدمة تقنياً واجتماعياً مقارنة ببقية دول العالم خلال العشرة آلاف سنة من تاريخ البشرية. وقد نقلت مجموعات مختلفة من البشر الابتكارات الجديدة من سوريا وغرب آسيا إلى المناطق المجاورة (على سبيل المثال، إلى مصر، وجنوب آسيا، وآسيا الوسطى، وأوربة) في فترات مختلفة. وقد ترسخت هذه الابتكارات في كل منطقة، وتم تطويرها، وصقلها، ونشرها في جميع أنحاء العالم وخاصة من قبل الأوربيين في العصر الحديث. لقد كان لهذه الابتكارات في سوريا وغرب آسيا تأثيراً كبيراً على بقية العالم، وقدمت الأسس لجميع الحضارات الحديثة.

ومن هنا، يجب أن نحاول الاعتراف بمكانة سورية كأساس لكل الحضارات الحديثة. العلاقة بين البيئة الطبيعية والحضارة التي أنشأ من خلالها الإنسان الحضارة الأولى فريدة من نوعها ولا مثيل لها في أي مكان آخر من العالم.

نحن نؤمن بأن معرفة الدور الهام لسورية في تاريخ البشرية يتيح الفرصة لإعادة النظر في كيفية عيش حياة أفضل وأعمق. وفي الوقت نفسه، فإن إعادة النظر في الشعب والثقافة السورية سيسهّل الاحترام الحقيقي لإنجازاتهم في كل فترة ومنطقة.

لسوء الحظ في الوقت الحالي، نحن نواجه أزمة تراث ثقافي في سورية. ولذلك نوّد مواصلة جهودنا ليس فقط للبحث عن الحقيقة، ولكن أيضا نسعى لحماية التراث الثقافي الذي يُعتبر شاهد على التاريخ.



صورة الغلاف: التنقيبات في تل الكرخ

يعتبر تل الكرخ الواقع في سهل الروج في محافظة ادلب شمال غرب سورية من أهم مواقع عصور ماقبل التاريخ في سورية. أظهرت السويات الأثرية تسلسل زمني لمراحل مختلفة من الاستيطان والتي تغطي فترات زمنية طويلة

أظهرت التنقيبات العديد من الاكتشافات الأثرية المهمة كأبنية السكن، والمخازن الجماعية، وورشات تصنيع الأدوات الصوانية وأماكن لممارسة النشاطات اليومية والكثير من الأدوات أبرز الاكتشافات في الموقع هو المقبرة التي تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث الفخاري والتي تؤرّخ للفترة بين ٦٤٠٠-٦٢٠٠ قبل الميلاد، واكتشف فيها اكثر من ٢٤٠ فرد متوفى حتى موسم عام ٢٠١٠ وتعتبر مقبرة تل الكرخ إحدى اقدم المقابر الجماعية في الهواء الطلق المكتشفة في العالم

٢٠١٨